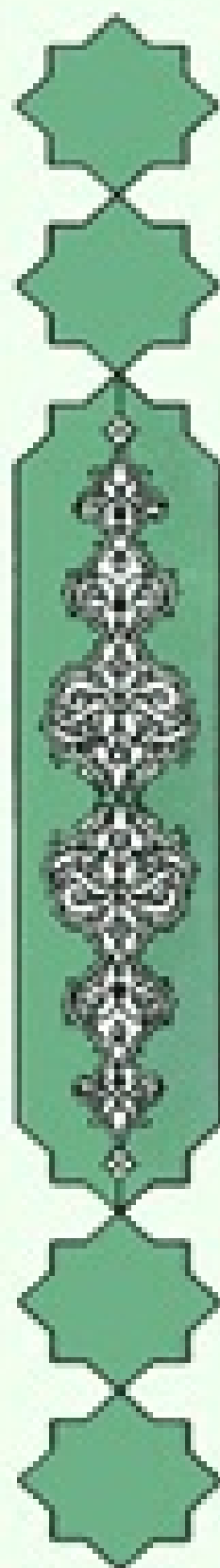


السياسية التربوية
عند
الامام الصادق عليه السلام

السيد عبدالمهدي فضل الله



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السياسية التربوية عند الامام الصادق عليه السلام

كاتب:

السيد عبدالمهدي فضل الله

نشرت في الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٦	السياسية التربوية عند الامام الصادق عليه السلام
٦	اشارة
٦	السياسية التربوية
١١	سياسة الجسد
١٣	سياسة العقل
١٥	سياسة الروح
١٨	سياسة النفس
٢٠	تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

السياسة التربوية عند الامام الصادق عليه السلام

إشارة

المؤلف: السيد عبدالمهدي فضل الله

الناشر: مشعر

طبع في سنة: ١٤١٢ هـ

السياسة التربوية

بسم الله الرحمن الرحيم هل ثمة علاقة بين السياسة و التربية؟ و اذا وجدت، ما هي طبيعتها؟ هل هي تفعيلية؟ أم هي علاقة امضائية؟ أم تنموية؟ أم تقاطعية؟ بمعنى التلاقى في محور و الافتراق في باق المحاور. أم بيئية؛ تخضع لعوامل داخلية كلياً أو جزئياً في تأهيلها لمنطق الترابط الداخل في تأثيرات البيئة تلك؟ أم تداخلية تقتضيها طبيعة تداخل الحاجات؟ أم تلقحية انجائية؟.. و اذا صح هذا، كيف نتصور طبيعة هذا المولود و علاقته بأبويه - ان صح التعبير؟ أم أن العلاقة مرحلية بسيطة شفافة و عابرة لا تستحق الاهتمام أو الانتباه؟.. و بالتالي فهي هامشية يقتضي اهمالها؟ أم مرحلية أصيلة أو مشاركة في التأصيل و التأهيل؟ لأن المشاركة بهذا المعنى تدخل، و التدخل ذو حدين: اما أن يكون بانياً أو هادماً، و عليه يقتضي التمحيص حقيقة المتدخل بعداً و عمقاً... و لزوم هذا يظهر بعد التدقيق في هويتي: «سياسة» و «تربية». و ماذا عن التدقيق في الهويتين؟.. و بروز النتوءات في هذه الأثناء محبط أم حافز؟ و الاحباط ملزم بالتسليم دون اعتراض؟ أم داع الى الكمون؟... و هل هذا يحمل معنى القيمومة لمصلحة المحبط أم المحبط؟ و الحافز في أى حقل ينمو و يتوالد؟.. في حقل الذات؟ أم في الحقل العام؟ و في هذه الحال، هل ينشأ صراع بين الذات و غيرها؟ [صفحة ٣٦٠] ماذا ينتج في الحالين؟ هل تدعو الحاجة الى تدخل آخر لبعض المفردات؟ و هل ما يحدث في عالم الناس يحدث في عالم المفردات أيضاً؟ و اذا كانت حقاً أصيلة، هل هي انصهارية توحيدية الى حد ضياع المعالم في كليهما... بحيث يلغيهما استقلال الجزء؟.. و هب أن التدخل مطلوب؟ فمن الجدير بحمل هذا العبء؟ واحدة من فئة؟ أم واحدة بفئة؟ أم واحدة مجردة عن المتعلقين و المتعلقة؟ و أى من هذه الواحدات أو تلك هل بإمكانها أو من شأنها أن تكون موضوعية تقوم بدورها دون تدخل الذات؟ و في هذه الحال، ما يصدر عنها: لها أم عليها؟ أم لمصلحة الجهة صاحبة الحاجة الى التدخل؟ أم أنها تتحول بفعل تدخلها الى شريك له و عليه؟ و اذا صارت شريكا؟ هل تنزع عنها صفة المتدخل؟ حيال هذا - و هول قليل من كثير - ألا تتشابك الخطوط و تتداخل الألوان تداخلاً يصعب معه التمييز فضلاً عن الفرز و التوظيف و تحديد الخانات؟ و من هنا مست الحاجة لذوى الخبرة المؤهلة للتعاطى مع الأحداث تعاطياً بانياً و حامياً... و لما قلوا الى حد التلاشى، وقع الخلل، و أطل برأسه زور الادعاء مموها، مطلباً، براقا حتى استحکم و تحکم، ثم استشرس... من كرس هذا الواقع: تشابك الخطوط و تداخل الألوان أم موضوعية الحاجة أم لا ذى و لا تلك و انما طبيعة الحركة التى اقتضتها الحاجة الى التوظيف؟ أم أن التماس و الاحتكاك بين فصائل المفردات. انبثق عنه وقع آخر؟ و نظراً لغياب ذوى الخبرة أو ندرتهم وقعت الواقعة؟ و اذا كانت الحاجة موضوعية فهي أساس، و أدعاء البناء هدد البيت، أنذرهم بأن السقف سيخر عليهم من فوقهم... هذه حقيقة أم ادعاء؟ ان كانت هذه حقيقة، فأين مصاديقها؟ أو كانت ادعاء؟ فالادعاء روحه الدليل فأين هو؟ و طبيعة الحركة التى اقتضتها الحاجة الى التوظيف، هل هي حركة ذاتية؟ أم أنها تتحرك بفعل قوة خارجة عنها تماماً؟ و ان وجدت هذه القوة. ما هي حدودها و أبعادها و تطلعاتها؟... و سواء علينا اتسعت التساؤلات، ثم امتدت و انتشرت أم تقلصت و قلت ثم توقعت، فالنتيجة ربما كانت واحدة، و هي حقاً كذلك، و هي أنها؟ (أى الحركة التى اقتضتها الحاجة الى التوظيف) فقدت استقلالها، فهي بالتالى ليست مسؤولة عن النتائج... فى هذه الحال، هل هي لومة، لأنها لم تحافظ على استقلالها؟ أم ملومة لأن تفاعلها أخل بتوازنها فضاء منها الاستقلال؟ أم أنها ليست

مسؤولة لأنها لا تملك القدرة على مواجهة الوافد ان لم نقل الغازي الذي أزال تحصيناتها، و تركها تتقبل كل ما يلقي إليها أو عليها باعتراضات واهمة؟ من هنا يكون ظهور العوارض البوائية أمرا طبيعيا جدا، لأن صانع الأجواء والمتحكم بالمناخ هو ذا. و الهواء الذي يوجد به ملوث يتحكم بمؤهلات الجسد الى هنا.. و اذا فقدنا السند الذي يدعم ايجابا أو سلبا كلما مر، أو بعضه، نسأل: هل من مسافة بين السياسة و التربية؟ ما هي حقيقتها؟ امتدادية مزامية معقدة؟ و هل لها آله قياس؟ و هل بعدهما تقابلي لا لقاء فيه؟ و اذا لم يكن كذلك، هل بالامكان تقريب المسافة و لم الشمل؟ و هل التقريب - ان حصل - يغري بتوحيد البيئتين؟ و العامل في هذا الحقل، مهمته صعبة أم مستحيلة؟ و اذا كانت صعبة ما هي أسباب الصعوبة فيها؟ هل تدرك؟ متى؟ كيف؟ الخ... و حتى لا نضيع في رحاب التساؤلات و هي ولود. نطرق باب اللغة [صفحة ٣٦١] عله يسلك بنا طريقا قاصدا. فاللغة ملاذ، و عندها كلمة السر و بيدها المفتاح..

ها هي تفتح لنا الباب على مصراعيه، لتطلعنا على: أ - السوس: الطبع و الخلق و السجية يقال الفصاحة من سوسه أى من طبعه. ب - السوس: الأصل. ج - السوس: العث. السوس: مصدر ساس - يساس و يسوس سوسا الطعام اذا وقع فيه السوس. السوس: الرياسة، يقال ساسوهم اذا رأسوهم. ساس الأمر سياسة اذا قام به سوس الرجل أمور الناس، اذا امتلك أمرهم. فلان مجرب قد ساس و سيس عليه أى أدب و أدب. يقول الحطيئة: لقد سوست أمر بنيك حتى تركتهم أدق من الطحين السياسة: القيام على الشئ بما يصلحه. السياسة: فعل السائس. يقال هو يسوس الدواب. اذا قام عليها و أراضها. و الوالى يسوس رعيته. سوس فلان لفلان أمرا، أى روضه و ذلله. أظن هذا كافيا لنرى فى ضوئه و بدون أدنى جهد أن الحوائل بين هذه المفردات و مضامينها المعنوية واهية جدا، ان لم نقل معدومة، ليس من شأنها أن تكون حوائل طبيعية ذات محاور يمكن تسميتها حدودا بين كيانيين. اذن لا ترجى لعون أو مدد. معرفة الأسباب لا تحتاج الى شرح لوضوحها، و عليه فانها تساعد العامل على التوحيد الوظيفي للمخلوق المتكامل هيكلًا و أجهزة... فالأصرة التى تشد ساس الطعام الى ساس الأمر كما يقول الحطيئة: لقد سوست أمر بنيك حتى تركتهم أدق من الطحين تشبه الى حد بعيد أو اصر أعضاء الجسد الواحد. فالسوس اذا دخل الخشب مثلا يعمل على تحويل حقيقته و قلبها الى حقيقة أخرى، يصبح الخشب طحينا بالجد و الجهد و الكد و المواظبة، فعمل السوس فى المادة كعمل السياسى و السائس اللذين يتجهان الى الطبائع فيحولانها و يغيران حقيقتها متجهين بها الى ما يصلحها. فالسياسة هى القيام على الشئ بما يصلحه - كما مر - حتى صار - بفضل السياسة - الجامع أليفا، و الشارد قريبا و معينا و سلسا و متقادا و العذار وفيا، و الرافض متقبلا و مستسيغا. هذه بعض عطاءات السياسى، فالسياسة بهذا المنظار، و هو الحق - توضع فى خانة المقدسات، و السياسى عامل مقدس فى هذا الحقل... و ما يؤسف له هو أن تهتك حرمة هذه الكلمة، ثم يعتدى على عفتها و تبتذل بدل أن تحمى بالغوالى صارت رديفا لمعظم الأوبئة الاجتماعية، و نحن بهذه المناسبة نستثنى السياسيين الأفاذ الذين حافظوا على شرف السياسة من أن يذال، و صانوا كرامتها بما قدموا و يقدمون. [صفحة ٣٦٢] السياسيون عاملون مجدودون انقلابيون موضوعيون وظيفتهم أن يستأصلوا الشر من نفس الشرير ليجعلوا منه انسانا صالحا، و هذه مهمة عسيرة، من هنا اكتسبت شرفها و الكرامة. رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حينما دخل مكة فاتحا. دخلها سياسيا و فاتحا، قوله (ص): [اذهبوا فأنتم الطلقاء] أرى من خلال مفرداتها برنامجا سياسيا ضخما يحمله الى كل من ضاع أو التبس عليه الطريق... و الحسين (ع) حينما دخل كربلاء دخلها سياسيا و فاتحا: سياسيا باعتباره الفكرة التى دخل بها رسول الله (ص) مكة المكرمة مجسدة. أما أصحابه فهم الذين سمو الى مستوى الفكرة، لذلك ماتوا فى سبيلها، أقول ماتوا تجوزا، انهم حقيقة انقلابيون تحولوا عن حقيقتهم الترابية، و حطموا صنم ال «أنا» فى ذواتهم فاستحالوا منارات، لأنهم انقلبوا على حقيقتهم الترابية و سجايا الأنانية و حولوها الى حقيقة أخرى مغايرة لذلك سماهم الله أحياء (و لا- تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون). و السياسة بهذا المنظار هى القيام على الشئ بما يصلحه - كما تقول اللغة - يكون ذلك اذا لم تتنازع السياسى عوامل خارجة عن موضوعية واجبه... هذه العوامل هى أعراض مرضية، و لكنها ذات رسالة بمضامين مدروسة، فان لم تعالج بالسرعة المطلوبة، حوت القاعدة استثناء. من هنا، و جب أن يكون المبضع بيد الجراح لا- الجزار، لأن لكل منهما طبيعة مغايرة، باختلاف الوظائف و تداخلها يلغى المطلوب و يطمس الحقيقة، و اختلاط الألوان

يخلق لونا آخر مخالفا تماما لكل من الألوان الممزوجة، لذلك اختلاط الوظائف القائم على التداخل الغوغائي، اذن، انه اعتداء... و سنن المعتدى و قوانينه قائمة على عدم الاعتراف بشيء سوى الذات. و هذا من قبيل جنون الخلايا، لذا مست الحاجة الى التربية القائمة على قواعد لم تمسسها ال «أنا» بأذى... و الادعاء القائل بأن البيئة بكل تفصيلاتها، و بكافة حيثياتها هي التي تكون طبيعة الأفراد و الجماعات و توجه سلوكها و تحدد أنماط أهدافها فيه نظر، لأنه قائم على قواعد مادية بحثه، تغفل الروح و تلغى دورها، بل لا تعترف بها مطلقا. لذا لم تكتب له الحياة بغير المنشطات، فكان تنفسه اصطناعيا يلغى الحياة الطبيعية و لا يمنحها، و هذا ما بدأ يتم فعلا. و بالعودة الى استدعاء المفردات نستفتيها بعيدا عن أى استطراد، ننظر فيما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): [أدبني ربي فأحسن تأديبي و ربيت في بني سعد] و فيما استعمله الزجاج في الله - عزوجل - فقال: [ان هذا القرآن مأدبة الله في الأرض، فتعلموا من مأدبته] يعنى مدعاته... «المأدبة من الأدب، و يقال للبعير اذا ذلل أديب و مؤدب. يقول مزاحم العقيلي: و هن يصرفن النوى بين عالج و نجران تصريف البعير المذلل نرى أدب - ربي - ساس و سيس عليه - مأدبة الخ... نراها تضامينة فربا الشيء مثلا زاد و نما يقول مسكين الدارمي: ثلاثة أملاك ربوا في سجوننا فهل قائل حقا كمن هو كاذب [صفحة ٣٦٣] و يقول ابن الأعرابي: فمن يك سائلا عنى فاني بمكة منزلى و بها ربيت ينتج عما تقدم: ١- أن الزيادة و النمو في (ربا) ليستا دائما صحيحتين (و ما أوتيت من ربا ليربوا في أموال الناس لا يربو عند الله) و النمو غير الطبيعي نتائجه معلومة. ٢- لا يكون النمو صحيحا. الا في اطار التنامي الطبيعي غير العدوانى. و لا يتأتى ذلك لا ضمن برنامج ناجح داخل في اطار معد لمصلحة جميع الأفرقاء ان صح التعبير. و ما تراعى فيه خلايا الجسد ينسحب على الأفراد بنفوسها باعتبارها جميعا خلايا للجسم الاجتماعى الكبير. و العلائق التضامنية التي لاحظناها في ساس و سيس عليه و أدب و مأدبة و ربا من حيث اللغة، و القائمة على أساس مصلحة الجسم الواحد مدرسة ولكنها مهمة ببرامجها الاصلاحية و تطلعاتها المستقبلية، لذا نرى الانسان منذ قابيل و هابيل يبحث عن حفته بظلفه، و نداءات الاصلاح التي تخرج علينا بين الحين و الآخر منذ فجر التاريخ حتى عصرنا الحاضر خارجة في معظمها من الحناجر فقط لذا لم تكتب لها الحياة، و هي بالتالى غازات سامة تلوث الأجواء و تكتم الأفواه و تعمل على خنق كل الأصوات الأصلية المجردة من المؤثرات الخارجية، و نزع رداء الأصالة عنها و تحويل حقيقتها للتدخل القائم على مبدأ الاستحواز و طمس المعالم. و الصراع القائم بين الأصالة و الزيف وجه من وجوه هذا التدخل الملقى بكله على صدر المجتمع الانسانى. ان الانتفاضات التي نراها تحدث دائما في وجه ذلك الغول دلائل عافية و مواد مشعة ولكنها ليست مميتة للغول ذاك أو مهددة لمشاريعه على الأقل. و مع هذا فهي لا تكف عن المواجهة بما تملك من امكانات مطوقة ولكنها فاعلة على محدوديتها، و فاعليتها هذه مهددة دائما من اتحادات القوى العاملة على ترسيخ أقدام المادة و تتويجها ملكة مالكة يجبى كل شيء لها و باسمها، و هي صاحبة الحق في التوزيع حسب مقتضيات طبيعتها المادية، حيث يكون التآكل و التنامي بالاستحواذ الفارض كل أشكال الأنانية و أنماطها لحساب الجسد و اهمال كل ما سواه، لأنه بمقتضى ذلك مشدود شدا الى مزاوله تلك المهنة و لعب ذلك الدور باعتبارها أمرا طبيعيا جدا. و الانهيارات الضخمة و الكوارث الكبرى و الأوبئة الفتاكة التي تحدث في أجوائه لا تعنيه بل تغنيه آنيا. و بما أنه لا يملك باصرة تخوله الرؤية ولو على مسافة قريبة، فهو فرح محبور... و تجربة قابيل مع هابيل أول أمثلتها. و باكورة مصاديقها... و الأخ الذى ضاق بمرأى أخيه، و قد تحول الى جثة لم يكن الندم باعث ضيقه... الندم الذى تعقبه التوبة... بل لأنه عجز عن تغطية جريمته لأنها شاهد ناطق، لا يحتاج [صفحة ٣٦٤] معه الادعاء الى شهود الحال... من هنا كانت جريمة قابيل طعنه فى مصدر أول مشروع الهى على الأرض... و ملاحقة خنجر الجريمة للكوارد الالهية أمر طبيعى جدا، لأن الصراع القائم بينهما صراع بين ملتين. لذلك نرى أن رسل الله لا تهادن و لا تحمل مشروعا وسطا ترضى بها جنود الشيطان، و ترضى بها نفسها فى آن: قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون لأن هذا مخالف لطبيعة كل منهما من حيث التنشئة و التأديب، فمن أدبه ربه لا يصغى لمؤدب آخر، و بالتالى فهو لا- يصافحه، الا اذا خضع للحجر الصحى و قبل عمل المؤدب الأصيل... مستسلما لمبضع جراح النجاة... و بالاستماع الى باب علم مدينة رسول الله (ص) محاورا عمرو بن ود: قل: أشهد أن لا اله الا الله و أن محمدا رسول الله، و عندما رفض عمرو الغرض

الأول قال له: ارجع بجيشك عن رسول الله. و يستمر عمرو رافضا. و يكون الأمر الذى لا- مفر منه و هو اللجوء الى المبضع... بالاستعماع الى هذا نلاحظ الأسلوب التربوى المتدرج الذى يحمل المبرر فى اللجوء الى استعمال آخر الدواء.. انها طبيعة كل رسالى تخرج من مدرسة الهيئة طابعها و أسلوبها و وسائل ايضاحها و معلومها وحدة منتخبة. و على (ع) واحد من حملة المشروع الالهى الى الناس و مهندسى بنائه القائم على تقوى من الله و رضوان (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم و الله لا يهدى القوم الظالمين - لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) (التوبة ١١٠ - ١٠٩) فالبناء فى ضوء هذا و الأساس و أساليب اقامته عليه كلها وحدة متراسة و عمل متكامل له غاية و أسلوب مولود من رحم الغاية عينها. و حركة العمل فى تأسيسه مشتقة من غاية بنائه أيضا، و لو لم يكن الأمر كذلك لما أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بهدم مسجد ضرار مع أنه مسجد من حيث العنوان. و لما انعكس مبرر وجوده وحب هدمه. لا- يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم أو تقطع قلوب بناته أى أن تتبدل الغاية الزئبقية فتعدو مع العادين خلف سراب خادع... أو ليست الدنيا سرايا؟ لكن امتلاكها عندهم غاية، و العدو خلفها مموها بالعناوين اللابسة لكل حالة لبوسها واضح... و تتابع الأدوار و تتلاحق المشاهد فوق خشبة المسرح و الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا. ماتوا أى حيل بينهم و بين ملذات الفانية و ذهب حسهم بالاستمتاع بها ليفتحوا عيونهم على عالم آخر طالما و عدوا به، و قدمت اليهم عنه صور ناطقة تكاد تلمسها بالحس و تتقراها باللمس، و لما لم تنلها أفواهم بالقضم و الخضم قالوا «ان نفيرا من ألف دين لأجدر» حتى اذا رأوها فى أхраهم عضوا يد الندم و تمنوا العودة الى حيث كانوا قال رب أرجعون أعمل صالحا فيما تركت... و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه... انها الطبيعة التى ترعرت و نمت ثم ربت المشاريع المضادة للمشروع الالهى، تشد سيفها على عنقه بدعوى المحافظة عليه و حفظه. و المعركة كانت و ما زالت و ستبقى و بالرغم من عدم التكافؤ المادى يظل صمود الأصالة متحديا: بدر - كربلاء - فلسطين و سائر [صفحة ٣٦٥] الأراضى الاسلامية و العربية المحتلة، كذلك بيتى العزيز فى الجنوب. كل هذه اسماء متعددة لمسمى واحد هو المشروع الالهى فى مواجهة العدوان على الانسان. و لم يكن ذلك ليحدث، لو أن للتربية الرائدة دورا فى تأصيل الانسان، أيا كان و متى و أنى وجد. و لما كان الانسان هو الغاية و هو الوسيلة فى أن تشابهت الصور، و موهت المفاهيم و تحول الجبل الى حبائل، و كاد يضيع كل شىء لولا- قوة الجذب فى حقول الأصيلين و استطالة النور و شموليته عند حماء المشروع الالهى للاذ الانسان بالعجز و صار كمن هملا.. و الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) مصباح ذاتى التوقد على مصباح الشك قطعها باليقين يقدم المشروع كاملا واضحا معقما صحيحا، فمن الامام الصادق (ع)، بل من أنا؟ نكرة أنا، رأس المعارف هو، المعرفة لا- تحتاج الى تعريف، انما تعرف النكرات، و النكرة تعرف باضافتها الى المعرفة، فصولات الله و سلامه عليك حين جعلتنى معروفا بك لا معروفا عليك. الامام جعفر بن محمد الصادق أبوه: الامام محمد الباقر خامس أئمة أهل البيت (ع) نهض بأعباء الامامة فى ظروف و غير مواتية، بل مستحيلة على غيره، فالسنوات الأربع التى عاشها مع جده السبط كافية لأن تغرى بالناشىء. لكن الصورة الحقيقة ظلت تكبر و تكبر الى أن تحولت مدارس، كربلاء أبرز معاهدها و وسائل ايضاحها و السجاد أبوه معلمها الأول أعطاه كلمة السر و عهد اليه برعايتها و سلمه مفاتيحها ثم رحل مطمئنا، و حسبك بالباقر (ع) أبا للصادق (ع) و كفى. أمه: فروة بنت القاسم بن محمد. و يروى صاحب البحار عن الجعفى أن اسمها فاطمة. و أيا تكن فحسبها أن تكون له أما. ولادته: الشريفة كانت فى المدينة المنورة سنة ثمانين أو ثلاث و ثمانين من الهجرة. وفاته: لحق بالرفيق الأعلى و له من العمر خمس و ستون سنة أو ثمان و ستون... مات مسموما فى عنب أيام المنصور.. دفن فى البقيع. فسلام عليه يوم ولد و يوم استشهد و يوم بيعت حيا. ظروف ولاته: شهدت البلاد الاسلامية بعد استشهاد الامام الحسين (ع) مخاضا ضاريا و عواصف عاتية أنذرت الحكم الأموى بالاستئصال.. تجلت ارهاصاته بالانتفاضات الدموية التى كانت تحدث فى غير مكان... صحيح أن أفواه قياديينها كانت تكلم و أصواتهم تخنق و يختم عليها بأبشع وسائل القمع و أفضع أساليب العنف. بيد أنها لم تكن لتجدى أو ترهب. فقد كانت على قسوتها تحمل بذور فنائها. انها حشرجات محتضر و تخبطات غريق يائس أربعه عنف الموج و زلزلة صخب التيار.. فهذا معاوية بن يزيد يرى الحق و أهله

محاربين فيعتزل... و الأيام التي تلت استخلافه لم تحمل عنه اشارة رضى بما عهد اليه [صفحہ ٣٦٦] به... اذ لم يصل بالناس و لم يخرج اليهم الا- مرة واحدة ألقى فيها خطبته الشهيرة التي أمارط فيها اللثام عن كل شيء و دل صراحة على أصحاب الحق، و حدد المغتصبين بالأسماء و بلا موارد ثم لزم بيته الى أن قضى و هو فى ريعان شبابه لم يبلغ الرابعة و العشرين ربيعاً... حضر دفنه مروان. سأل الناس: «أتدرون من دفنتم؟!» نعم، معاوية بن يزيد. ثم يعقب مروان قائلاً: «نعم هو أبوليلي الذى يقول فيه الفزاري: انى أرى فتنة تغلى مراجلها و الملك بعد أبى ليلى لمن غلبا بدا من سؤاله و تعقيبها أنه يمد عنقه الى الخلافة و يتحلب فمه لمطير ضرعها، و قد تأتى له ذلك، الا أن دخوله فى هذا الأتون ما عتم أن صهره... قتلته زوجته أم خالد بن يزيد... لا شك أن ذهابه لم يحل مشكلة الأمويين، كما أن مجيء عبدالملك لم يساهم فى حللتها أيضاً، بل زادها تعقيداً. الأجواء على تلبدها و الانتقام المتبادل سيد الموقف، و الرعب ملق بثقله على صدور العباد و البلاد... الأيام حبلت بالأحداث... و كل شيء وارد و الأمة يدها على قلبها.. لا تدرى الى ما يكون مصيرها تنهياً للقفز فى المجهول... تتلاعب بأعصابها النأمة.. و تقلق و هم اطمئنانها هبة نسيم... فى خضم تلك المرعات من عهد عبدالملك، ولد الامام الصادق (ع) محاطا بسورين عظيمين من ورثة علم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) علما و أخلاقا و أسلوب عمل... بيته مدرسته و مسجده و محور تحركه، فيه تعلم و علم و صلى و صام.. و هذا الكنف النبوى الحانى من الأبوين الجليلين كاف لتعقيم الأجواء للمولود السعيد... تنفس ملء رثيته هواء نقيا مشبعا بالايامن و العلم المحصن. فالامام زين العابدين (ع) الذى شهد واقعة الطف، وقرأ فى ضوئها، حمل مائدته العامرة بشتى الألوان الموروثة و المكتسبة الى الحفيد، يأخذ منها ما غذى نفسه الشريفة و أغنى تطلعه لاستشراف الأبعاد... و الجد يعد الحفيد للنهوض بما ينتظره من أعباء، اعدادا مبنيا على قواعد معصومة أهلت الناشئ للمهمة الصعبة تأهيلا يستحيل على غيره. فكانت السنوات التسع التى عاشها مع أبيه الباقر (ع) مرحلة تخريج من مدرسة النبوة. لتكون المواجهة بحجم المهمة التى تمخر بحر المستحيل بالسلاح الذى ورثه كابرا عن كابر، فالمراحل الصعبة و المسافة الزمنية الطويلة التى ربت على ثلاث و أربعين سنة منذ عبدالملك حتى يزيد بن الوليد كانت كلها علقما و جحيما و سلاسل تتنفس لها، قطعها الامام الصادق (ع) ظافرا مستسهلا صعابها فى سبيل ادراك المنى و تحقيق الهدف... قطعها بالحكمة و الأنأة و الصبر و البصيرة الثاقبة التى اخترقت حجب الزمن و دلت على ما سيكون... [صفحہ ٣٦٧] مافت فى عضده شتم من كان رسول الله (ص) بمنزلة هارون من موسى.. مر الأذى اللاحق بشيعتهم كان قوة و حافزا... مدركا أن القمع وسيلة الخائف و حشرجة المحتضر... فدم السبط الشهيد الذى عبوه ظامئين للمزيد من دماء آل محمد (ص) صار براكين مستأصلة و الخنجر الذى حز وريد النبوة ارتد الى عنق الجزار... المشاهد تتلاحق على مسارح الزعامة الغاية.. نشاهدها فصلا فصلا ما أثاره أى منها لأنه عالم به قبل أن يكون، و هو متأكد أنهم بها ينتحرون... متأكد من زوالها لأنها غاية. و هو يخطو نحو الهدف الغاية بوسائل هو أبرز رموزها... خطواته ثابتة... متجذرة... قائمه على تقوى من الله و رضوان. هذا هشام بن عبدالملك يقتل زيدا بن على فى الكوفة و الصادق يؤبنه بلسان يختزن النبوة المحمدية... لاعنا قاتله... دالا- على مثالب القتلة الظالمين... واعظا اياهم من مغبة التماذى برعاية الأوبئة و صيانتها... مبرهنا أنها بدع يجب أن تطفأ بالكتاب الكريم و السنة النبوية الشريفة... ارشاداته الصحية تلك كانت تدخل فى القلب، لأنها خارجة من القلب... التف الناس حوله... كان يعظهم بسلوكه... قوله فعل... و فعله حركة بناء و هدم... سهل الى حد الاغراء... صعب الى درجة الرهبة المجللة بالفيوضات الالهية الغنية... الواقف على أعتاب بيته... واقف على عتبات صومعة و مسجد و جامعة... عامر الا من الطنافس، و مظاهر الكبر و رشوحات الجبروت... أسباب الخشوع لمن أمه للصلاة مكتوبة بالقلم العريض.. و مظاهر التنسك لمن قصده للتأمل تكثر الرهبان... و فيوضات العلم للمستنيرين تتجلى للعيان عرائس مغرية... ضيق... ضيق... واسع... واسع... يتسع لحشود الطالبين.. أنت فيه بحاجة الى دليل و الا وضعت... أليس عجيبا أن يتحول الكوخ مسجدا و صومعة و جامعة تنتج أفكارا منحوتة و أبدالا رهبانا... ثوارا باعوا جماجمهم الله.. تأثروا و أثروا ثم استحالوا منارات ذاتية التوهج... تنطفئ الشمس و هم أحياء... و مع كل هذا فهى مبنية بالطين و الحجارة غير المنحوتة... من هؤلاء الامام الخميني العظيم (قده)... كوخه وليد ذلك البيت العظيم... منه أطل.. و فيه عمل و علم و

خطط و نفذ... دك أضخم حصن للاستكبار العالمي فى عصرنا الحديث... آه... لو أملك خيالا يدرك بعض حدود ذلك الخيال... قصر المجد ذاك... و بعد... أليس عجيبا أن يتسع بيت الامام الصادق (ع) لألفى طالب ان لم نقل أربعة آلاف... يخفون اليه من كل صقع... تتسابق القبائل الى ارسال من تتوسم فيه قابلية التلقى من نجباء أبنائها: مخزوم... خثعم... خزاعة... سليم «غطفان» بنى ضبة... الأزد و غيرها... و غيرها... لا- سيما قریش حتى صار وعن جدارة مؤسس أولى المدارس الفلسفية الاسلامية، بالاضافة الى الاختصاصات الأخرى كالرياضيات و الكيمياء و الفقه و غيرها... و لا ننسى أن مؤسسى المذاهب الفقهية لم يغيبوا عن [صفحہ ٣٦٨] حلقات التدريس تلك.. كان هذا و باختصار شديد. باكورة افاضاته العلمية فى ظل الدولة الأموية التى ما ان لفظت أنفاسها الأخيرة، حتى أطل السفاح برأسه، من بين جماجم الانتفاضات التى كانت تدعو بمعظمها الى العلويين، و فى مقدمها العباسيون... ساير السفاح التيار و ركب الموجة حتى بويج بالخلافة، و كان انشغاله بمطاردة الأمويين فترة سماح للامام العظيم لأن يستمر فى مهمته الرائدة، فركز دعائم مدرسته... حيث تسلفت أشعة شمس عرفانه فأنارت كل الزوايا المظلمة، و ترقق ينبوع معرفته فسقى كل النفوس المتعطشة، و لم ينثه هم هذا الانجاز المتفوق عن الرد على كل من دعاه الى المشاركة فى الثورة و تزعمها، فعند أفكارهم بالتأكيد، على أن لا نصيب له من ريع تلك الحركات الانقلابية، و ان كانت فى ظاهرها قامت باسم مظلومية البيت العلوى و تحركت تحت هذا الشعار. لكن الامام الصادق (ع) قد استشراف المستقبل و قرأه قراءة هادئة مطمئنة، فهو ماثل أمام عينيه... هو فعلا كذلك... يتجلى ذلك فى رده على أبى مسلم الخراسانى عند ما كتب اليه أنه يدعو الناس الى موالاة أهل البيت و أن لا مزيد عليه، أى على الامام الصادق (ع)، فيجيبه صلوات الله عليه: «ما أنت من رجالى و لا من أهل زمانى». لم يقع فى الفخ، ظل بعيدا، يعمل بصمت فاعل مخترقا صدر كل السدود. و ظلت حبال العباسيين المموهة ببراقع الرحمة و الاخلاص تترى و تتلون و لا تقف عند حد. و الامام الصادق (ع) كان يلوى بها دائما و يحل مستعصيات رموزها حتى للسعاة الوشاء، فضلا عن المترلفين حتى ألجأهم صبره و أناته و نفاذ بصيرته الى كشف زور ادعائهم، أنهم مخلصون موالون، فأماطوا اللثام عن سوء طويتهم و خبث نواياهم، مصرحين بذلك أمام مستشاريهم فى أكثر من مناسبة. فهاهو المنصور الدوانيقى يحج عام ١٤٧ هـ و يدخل المدينة آمرا الربيع باحضار الصادق (ع) مصرحا أمامه بقوله: «قتلنى الله ان لم أقتله...» و يتغافل الربيع... لكن الذئب لم ينم... و أصر على احضاره فحضر، و كان بينهما كلام لم يخف فيه المنصور نواياه الخبيثة تجاه الامام لكن الصادق (ع) لم يستطع بحسن تدبره أن يفلت من بين مخالب الذئب و ينجو من أحابله المموهة تهما و افتراءات ما أنزل الله بها من سلطان فحسب، بل أنهى المقابلة بأن أمر الربيع أن يلحق بأبعد الله جائزة و كسوة... الربيع لم يصدق عينيه و لا أذنيه، و توهم، محقا، لو لم يدلله الامام على السفينة التى ركبها و نجا من غضب الكاسر. انها مفتاح الكرامة و الوسيلة لقطع المسافة بين الأرض و السماء التى كانت جواب المسؤول عن المسافة بينهما و هو الامام (ع) «المسافة بين الأرض و السماء دعوة مستجابة». مفتاح الكرامة الذى لا يحسن استعماله الا المحترفون أصحاب الصنعة و صنائع ربهم. و يذهل الربيع الدعاء الحصن الذى تلاه على مسامعه «اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام، و اكنفى بركنك الذى لا يرام، و اغفر لى بقدرتك على... لا أهلك و أنت رجائى... اللهم انك أكبر و أجل ممن أخاف [صفحہ ٣٦٩] و أحذر... اللهم بك أدفع فى نحره، و أستعذ بك من شره». و كان للامام ما أراد، سلم فسلمت معه المدرسة، و تجذرت مفاهيمها، لم يتركها الا- و أصلها ثابت و فرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها. شمس هدى و أساطين علم، أثبتوا أن العلم - أى علم - ان لم يكن وسيلة تخدم الانسان دمر. من هذا الباب ندخل الى الامام الصادق (ع) قاصدين فروع السياسة التربوية. نطل على هذا الفرع من كوى أربعة... نصف من خلالها مشاهداتنا، ما وسعتنا القدرة و أسعفنا البصر، علنا نحصل المبتغى، و الا فليست محاولتنا أول محاولة فاشلة.

سياسة الجسد

الجسد أداة أم وعاء؟ أم أداة و وعاء؟ و اذا كان الجسد هو الوسيلة التى تترجم النية عند الفرد الى عمل خارجى فهو أداة تتلقى الأوامر

ثم تنفذها دون اعتراض، وهذا ما يحدث فعلا، فالأوامر التي ينفذها الجسد آتية من النفس الكائنة والقائمة فيه، فهو بهذا مستودع أسرار متأثرة ومؤثرة... من هنا وجبت رعايته والمحافظة عليه حتى يؤدي وظيفته طبقاً للأصول المرعية، والا سقط و تحطم و تحطمت معه كل مخزونات النفس. فالغذاء المادى المدروس و الرياضيات المنهجية و المنوعة غذاء رديف لا حياة طبيعية بدونه. و التطورات البنيوية فيه يجب مراقبتها و تقديم الخدمات اللازمة لها و استعمال الميزان فى كل هذه الحالات واجب و لا محيد عنه... فكثيرا ما يكون الغذاء المادى ضارا ما لم تكن الأجواء المحيطة به مريحة ملائمة بحيث تغدو مقبلات غير مسرفة، و الا تضخم و انتفخ ثم انفجر، أو نحل ثم دق فذاب... حقيقة هذا قائمة و ماثلة فى المجتمعات و الأفراد. من هنا، أولى الاسلام الجسد عناية تناسب وظيفته على الأرض، و أكرمه بأن وعده بالبعث، و مواجهة الميزان الحق مؤكدا أن التراب هذا سوف يعود حاملا حصاد دنياه. و أن كفتى الميزان بانتظاره، فاما أن يكون فى أعلى عليين، و اما أن تكون أمه هاوية (فأما من ثقلت موازينه - فهو فى عيشة راضية - و أما من خفت موازينه - فأمه هاوية - و ما أدراك ما هى - نار حامية) (القارعة ١١ - ٦). و حتى لا ترجح كفة ميزان المادة فى التربية، حذر القرآن الكريم من مغبة طغيانها منذرا بسوء العاقبة فى الدارين... (ألهكم التكاث - حتى زرتم المقابر - كلا سوف تعلمون - ثم كلا سوف تعلمون - كلا- لو تعلمون علم اليقين - لترون الجحيم - ثم لترونها عين اليقين - ثم لتسألون يومئذ عن النعيم) (التكاثر). [صفحة ٣٧٠] (ويل لكل همزة لمزة - الذى جمع مالا وعدده - يحسب أن ماله أخله - كلا لينبذ فى الحطمة - و ما أدراك ما الحطمة - نار الله الموقدة - التى تتطلع على الأفئدة - انها عليهم مؤصدة - فى عمد ممددة) (الهمزة). (و ما يغنى عنه ماله اذا تردى) (الليل ١٠). هذه عينات معدن جبار تنفس علينا و نفس عنا... أرتنا الحقيقة فى محلو صورتها و صدق رعايتها و حذبها... و النبى العربى الكريم (ص) أفاض على الانسانية كلها من وحى تلك المناجم الالهية الهائلة عظات عملية و ارشادات خرج بها على الناس قولاً مقرونا بالفعل... كذلك باب مدينه علمه (ع) و معها كل فروع الدوحة المحمدية الحانية الدانية.. فالداخل الى تلك الرياض مفتتن.. يعجب من هؤلاء الناس و هم بشر... كيف تعاملوا مع الفانية و خرجوا منها دون أن يعلق بهم رشح من رذاذ أدرانها... و هى المعروضة عليهم بالحاح... يحفظ الحياة و لا يشيع فضول الجسد... لذلك لم يكونوا بعض صيدها «اليك عنى يا دنيا غرى غرى... لقد طلقتك ثلاث». و الكلام فى تعاملهم معها طويل... طول الحياة عينها... و متشعب تشعب الحياة ذاتها... قدروا عليها و عجزت عنهم... و حتى لا يأخذنا الاستطراء، نعطف ناحية الامام جعفر الصادق (ع) الموسوعة الحدث، لنرى كيف لم يكن للجسد عنده أى اعتبار الا ضمن الحدود و المعايير و الموازين التى تجعله خادما مطيعا و وسيلة تمت فيه الطمع فى أن يكون غاية... يعمل فى هذه المزرعة خضما و قضما. فمن وصيته (ع) العنوان البصرى «ياك أن تأكل ما لا تشتهيه، فانه يورث الحمق و البله، و لا تأكل الا عند الجوع، فاذا أكلت فكل حالالا» واذكر حديث النبى (ص): [ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه، فان كان ولا بد فثلث لطعامه، و ثلث لشرابه، و ثلث لنفسه]. و يوصى الصادق (ع) عمرو بن سعيد بقوله: «أوصيك بتقوى الله و صدق الحديث و الورع و الاجتهاد، و اعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا - ورع معه، و اياك أن تطمح نفسك الى من فوقك، و كفى بما قال عز وجل لرسوله (ص) (و لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) فان خفت شيئا من ذلك فاذكر عيش رسول الله (ص) فانما كان قوته الشعير، و حلواه التمر و وقوده السعف اذا وجده». هذا طعام رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، و مثل هذا كان طعام التابعين له باحسان الذين كانت تجبى لهم الأموال فيحاسبون أنفسهم، و لا يرفضون أن يحاسبوا. يعلم الله أن الجبايات على اختلافها، كانت تذهب لأهلها المستحقين ذوى الخصاصة، لم يلجئهم [صفحة ٣٧١] غول الادقاع الى ذل السؤال و طلب النوال... أو ليست وصايا الصادق (ع) دعوة الى صنع أوقاف الاتهام، و انشاء محاكم العدل لتقييم الحد على من يأكلون التراث أكلا لما و يحبون المال حبا جما، و يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع، و يقيمون المقاصير الناضجة تخمة لهم و لأبنائهم التابعين من أموال اليتامى و الأيامى و العجز القاصرين التى تجبى اليهم باسم هؤلاء و تحت عنوان أنهم أمناء عليها... وظيفتهم ايصالها الى المستحقين... و المستحقون الجائون الحفاة العراء... يطوفون بأسوار قصور الجفاء القساء... يريقون ماء وجوههم على تلك الأعتاب التى أكلت لحمهم و دبّت فى العظام عليها تنقياً

باتجاههم بعض تخمتها... الرشيد... المنصور... المعتصم... المتوكل... الخ... عندنا بدمهم و لحمهم و مواكبهم الطاووسية... أمراء المؤمنين هم... شأنهم غير شأننا يسموننا عواما، و اذا سألهم المتطفلون بكوا بدموع بلا ملح، لأنهم مضطرون للطاووسية مكرهون على الكبر يرغمون على الأبهة و الجلال. سبحان ربك كلمة هي و الخطوب على انسجام الجواهرى

سياسة العقل

لماذا سمي العقل عقلا؟ يقول ابن الأنبارى كما جاء فى لسان العرب: «رجل عاقل و هو الجامع لأمره و رأيه... مأخوذ من عقلت البعير اذا جمعت قوائمه» و قيل العاقل الذى يحبس نفسه و يردها عن هواها، أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه اذا حبس و منع من الكلام. و العقل أيضا التثبت من الأمور و سمي عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط فى المهالك... و العقل ضد الحمق... و قيل العقل هو التمييز الذى يميز الانسان عن الحيوان. يستفاد مما قدمته اللغة أن العقل كايح يتولى بنفسه صنع الفعل و وضع المعادلات منكبا عن النتائج لا لأنه يجهلها بل لأنه يريد أن يتعامل معها على أساس خطة وضعها سلفا و أدرك فى ضوئها طبيعة المواجهة، و اذا أخطأ التقدير لا يسقط أو يتهالك، بل يتماسك و يعيد الكرة، و ان هو سقط لا يعود عقلا، فقد فقد الزمام... و فقدان الزمام احباط، و الاحباط انقياد و الانقياد جنون العقل أى اختفاؤه... فصاحبه مجنون و ان كان شاعرا أو فيلسوفا أو عالما فتحت على أيديهم كل المغاليق، أو محاربا أتقن لعبة الموت لأنهم استسلموا ففتحت أبواب عقد لهم فاعتقلها الغازى فتحررت كما يشاء... و متى يشاء... و أنى يشاء... ماذا نسمى الذين لا يأمرن بالمعروف و لا ينهون عن المنكر، ولو بالحد الأدنى، و هم قادرون، و الذين يرون الحق رؤيتهم الشمس، ثم ينقلبون على أبصارهم و بصائرهم، فيأمرن بالمنكر و ينهون عن المعروف؟ هؤلاء... كل هؤلاء... عقلاء...؟ مجانين...؟ أم لا عقلاء و لا مجانين...؟ نهرب من الاستطراد [صفحة ٣٧٢] متسائلين: هل للعقل أنماط...؟ يخرج الطفل من ضيق الحيز الى رحاب بلا حدود، عقلا مستطلعا يتقرى كل ما يقع فى متناوله الى أن يدب ثم يستقل... حتى ولو عمر ما عمر نوح... الرعاية التى يتلقاها على اختلاف وظائفها محكومة... تتحكم فيها تجارب الأولياء مسافة زمنية محدودة، أى مادام مكفولا، فمتى اشتد، استقل استقلالا محدودا أى خرج من قفص الى قفص أكبر بجانبين عليهما بصمات أصابع الكفيل و عمر البصمات هذه يطول أو يقصر حسب فاعلية الكفيل و مصداقية مشاريعه للحياة و أسلوبه فى تحقيق تلك المشاريع... و النادرون الذين يتخذون لأنفسهم محاور مستقلة أى موضوعية، مشتقة من صدق أصالة التعامل مع الحياة. فالامام الصادق (ع) يرى أن الحكمة الالهية تقضى بأن يولد المولود غيبا يقول (ع): «ولو كان المولود يولد فهما عقلا لأنكر العالم عند ولادته» قوله (ع) عقلا لا يعنى أنه يولد مجنونا. «و لبقى حيرانا تائه العقل اذا رأى ما لم يعرف و ورد عليه ما لم ير مثله من صور العالم و البهائم الى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة و يوما بعد يوم. ثم لو ولد عقلا كان يجد غضاضة اذا رأى نفسه محمولا... مرتضعا... مسجى فى المهد... لا يستغنى عن هذا كله... ثم كان لا يوجد له من الحلاوة و الوقع فى القلوب ما يوجد للطفل لا ادراكه عدم مناسبتها، فلا يفعلها، و اذ لم يفعلها لم تكن منه تلك اللطافة، و لم تحصل منه تلك اللذة للأبوين، فلا يقبلان على تربيته كما ينبغى، و بذلك لم يحصل الغرض المطلوب، فكان من الحكمة أن يولد الطفل غير عاقل و لا فهم... فيلقى الأشياء بذهن ضعيف و معرفة ناقصة ثم لا يزال يتزايد فى المعرفة قليلا قليلا حتى يألف الأشياء و يتمرن و يستمر عليها، فيخرج من حد التأمل بها و الحيرة فيها الى التصرف... الى هنا... نفهم مما تقدم أن المولود عندما دخل الدنيا، دخلها بعقل، لم يتعلل مرثياته و محسوساته... فأجاته لأنها جديدة عليه... نرى الطفل فى سنتيه الأوليين يمسك بكل ما تقع عليه يده رغبة بالاستطلاع، لا يمنعه من مد يده الا أذى يلحق به، فاذا ذهب موسم الأزدى أو نسيه أعاد الكرة... يظل كذلك حتى تتجذر التربية و تنتج لذلك نقول عنه أنه لا يعقل الأشياء أى لا يرتبط معها بسبب... فمد يده اليها يحمل معنى التساؤل و حب لمعرفة... ألا نراه يتعامل مع أشياء المنزل على هذا الأساس... اذن هو عاقل بمقدار... غير متعلل، فهو كما قال (ع): «ثم لا يزال يتزايد فى المعرفة قليلا... قليلا، و شيئا بعد شىء و حالا بعد حال، حتى يألف الأشياء». أليست هذه حال الكبار الذين تحصل لهم اكتشافات علمية هائلة من جراء فضولهم الدافع الى سبر غور

ما لا يعرفون و الاطلاع على حقيقة شأنها بدقة و تفصيل بالعين؟ و لولا الفضول هذا لما استطاع الانسان أن يخترق أجواء الفضاء و يصل الى ما وصل اليه. فهذا العقل، الذى سماه الامام على (ع) العقل المطبوع، يتعود... يتسع... يغنى بالتعاون مع ما [صفحہ ٣٧٣] أعطاه فضوله من كشوفات أكسبته قدرات متدرجة سماها الامام على (ع) العقل المسموع. رأيت العقل عقليين فمطبوع و مسموع و هذا التنامي لذين العقليين لا يقف عند حد، ماداما عاملين بالتعامل و التبادل الوظيفي يقع فى مراحل أربعة متدرجة من أدنى الى أعلى كما يسميها العلامة القزويني... و هى أولا مرحلة العقل الهولاني... و هى بمثابة وسيلة الايضاح المستعملة فى التعليم، و بها اختلف مولود الانسان عن باقى المواليد الأخرى... و بتتابع التجارب، و توالى الاطلاعات يحصل التطور الآلى تقريبا... فيكون التمييز البدائي ان صح التعبير الحاصل بالتجارب، انها المرحلة أو الخطوة الثانية باتجاه النضج المسماة العقل بالملكة... أما المرحلة أو الخطوة الثالثة، فهى مرحلة امتحان لفاعلية المحصول و المحصل، فاما أن يكون عاقلا مؤهلا للخطوة الرابعة، فيكون عاقلا بمعنى ما... و يسمى هذا عقلا بالعادة أولا، فيكون وسطا بين الانسان و غير الانسان... بعد العقل بالعادة يأتي كمال العقل، طبع الكمال النسبي أى المزاولة على أسس حمل لواءها و نما فى ظلها و تكسب عليها، اذ بدأ يفصل ما يقع فى متناوله حسب ما يراه الأكمل و الأنسب... ثم يتصرف بالمحاصيل على اختلاف تسمياتها و تشعبها و أبعادها التى أدركها ضمن برنامج وضعه خصيصا لها، و لا يرضى بديلا عنه، فهو فى نظره الأصلح، يدافع عن هذا بمختلف الوسائل المتاحة، فيقع الصراع بين العقول المختلفة و تتوالد الكوارث، لأن كثيرا من العقول لم تلجمها العبر فعصت و أعرضت، ثم عصت فخسرت. يقول الصادق (ع): «فيخرج من التأمل بها الى التصرف و الاضطراب الى المعاش بعقله و حيلته و الى الاعتبار و الطاعة و الغفلة و المعصية». يؤكد الامام الصادق (ع) فيما نقرأ بين الكلمات حقيقة ملزمة، و يصبر عليها و هى أن الأطفال منذ تصويرهم فى الأرحام الى أن يستقلو و يسعوا فى الأرض هم ودائع الخالق عزوجل عند الأبوين... مطالبون غدا يوم ينصب الميزان مسؤولون أمام العدل المبين عن برامج التربية و التعليم التى طبقت على هؤلاء الودائع و طبائعها و افضاءاتها و أدوارها... و نتائجها محسوبة بدقة، و لا مفر للأبوين و لا عذر ان لم يكن النتائج مرضيا عند الله... مطابقا للأصول المرعية حتى تكون الروابط الاجتماعية موثقة موحدة توحيدا تعاونيا فاعلا و منفعلا بحيث اذا شكى عضو شكت معه باقى الأعضاء. على هذا الأساس يقوم بناء المدرسة النموذجية و تترسخ قواعد العلم الصالح... المطمئن على سلامة المصير، لأنه قام على أساس من تقوى الله و رضوانه... لا ارتباطه بالقدرة الالهية ارتباطا منفعلا لا حيد فيه.. و دورانه فى فلكها دورانا محكوما بارادتها لا يؤذيه تمرد أو محاولة استقلال... بذا لا يكون العلم مخيفا بصوره و نتائجه حتى ولو كانت حالية حانية... العالم... كل العالم بكل من فيه قلق خائف مرتعد مما تحمله بطن قبله أو يأتى به صاروخ على جناح السرعة... الخوف هذا آت من اعتقال العقل و الانحراف بغائية العلم.. و لا فائدة مطلقا من كل الاتفاقات المعقودة و المعاهدات بين مالكيها ما لم تكن مفاتيح [صفحہ ٣٧٤] ترساناتها بأيد تعصم بحبل الله لا تكبلها أشراك الأنا و الدوران فى فراغ الحلقة المفرغة سيظل قائما الى ما شاء الله، فالعلم بدهاءه اما أن يكون أو لا يكون، فلو أصاب العلم الضار متعمد الضرر فقط، لهانت المصيبة و لتوارى الشر، ولكنه لا يبقى و لا يذر... و الامام الصادق (ع) نبه الى هذه الحقيقة مرشدا أصحاب العقول دالا اياهم على النهج السوى و الصراط المستقيم فى أصول التربية و التعليم، محذرا أصحاب العقول من مغبة السهو و الخروج من اليقظة الى الغفلة فالنوم الذى لا يوقظه الا الموت «الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا» فالعقول التى لم تنتفع بما قدم اليها الله عبر رسوله، و لم تجلس الى مائدته تأخذ منها ما ينفع الناس و يمكث فى الأرض و يحيى فيها ما يضمن استمرار وجودها المزدهر فى أجواء الدعة و الاطمئنان و الحنو... هذه العقول يمت مائدة الشيطان فاستطابت ألوانها... و افتنت بها فاستوعبتها الملذات، و غرقت فى بحر نعيم زائل و ملذات عابرة منها لذة الكشوفات العلمية الهائلة التى لا تلبث أن تطفئها رياح القلق على المصير، فأدركت أنها ذائبة فى بوتقته محترقة فى جحيمه، ولكنها لا تستطيع الافلات من شباكه أو تغيير اتجاهه حتى تتحكم باتجاهه صارت محكومة له. صار عقلها مكبلا، فلا افلات و لا حتى تململ، بل رضى مشبع بالخضوع و التسليم و الخشوع. هذا المصير الداكن محصول العقول الخارجة عن مدارها... المتخذة لنفسها مدارا ذاتيا و النتائج هذه متوقعة. فما لم تلغ بوصلة العلم، فنحن و الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه، هالكون

به و به منتحرون أيضا... هذه حقيقة مرئية، بيد أن الرائي نيام و ما يراه النائم لا يراه اليقظ... فالعقل الذي سماه الامام على (ع) مكتسبا اذا ترافد مع العقل المطبوع و تلاقحا تلاقحا شرعيا تبعا لقانون المدير الحكيم توحدا، و متى توحدا استقلا عن أى مؤثرات خارجية. هذا ليس مستحيلا و لا حتى صعبا... بل متيسر حال العمل الجاد باتجاهه، لأن ظروف حصوله قائمة و كائنه، و لقد أتاح الله تعالى كل الفرص، و فتح كل الأبواب باتجاهها. دعا اليها ملحا عبر أنبيائه و ما أنزل عليهم... لذلك نسأل ملحين: اذا كان العقل هو التمييز بين الانسان و الحيوان، و اذا كان العقل ضد الحق، و اذا كان العاقل من يحبس نفسه عن هواها، فمع من يكون مستكبر و العالم و ما وجه تسميتهم بالعقلاء؟ و نحن، المستضعفين، لماذا نفتق آثارهم، و نترسم خطواتهم، و نتيه فخرا و اعزازا بتقليدهم، و الا- فلسنا حضاريين...؟ و أدنا كل أرسدتنا، و عدونا نلهث خلفه، نتهالك على كل ما يلقيه الينا من فتات، لا تسمن و لا تغنى من جوع، ثم نغنى معزوفة و هم الحضارة و المدنية و الرقى مبهورين... محبطين... قابضين على الماء... مستوردين مستهلكين... نستهلك البضائع المقدمة الينا، عليها ختم الشركة صاحبة الامتياز... نلتهمها [صفحة ٣٧٥] بالعيون و بكل الحواس، طعمها لذيد، و نتائجها مدروسة معقمة... تعقيما يناسب كل الأعمار و الأذواق و العقول... هكذا تقول الشركة، و هكذا يجب أن نقول نحن. ألسنا أبواق شركات الحضارة؟ يقول الامام الصادق (ع): «من كان له عقل كان له دين، و من كان له دين دخل الجنة». و كلمة دين كما ورد في اللغة تعنى الحساب. يوم الدين يوم الحساب و الملك و السلطان، و من متفرعاتها دان له، كقوله: (دانت له الرقاب) أى خضعت، و الخضوع يقتضى الالتزام بكل ما يفرضه المخضوع له، و على هذا يمكن الخروج عن اللفظ فنقول: الدين يعنى النظام، و النظام هو مجموعة قوانين تيسر السبيل لبلوغ الأحسن، كما هو المفروض، قال الامام على (ع): «أريد من قریش كلمة تدين لهم بها العرب» أى تطيعهم و تخضع لهم. كيف نختار النظام؟ مبدأ (انا وجدنا آباءنا على أمة و انا على آثارهم مقتدون) مرفوض لأنه مبنى على عاطفة العصبية التى تشل التفكير و تجعل العقل فى اجازة، من هنا، جاء الرد الالهى الحاسم، المعبر عن الفطرة الانسانية، (أولو كان آباءهم لا يعقلون شيئا و لا يهتدون). هل نسن لأنفسنا نظاما بحكم تجربتنا الطويلة فى الحياة، و نلتزم به و ندين له، و ان فعلنا، كيف نتجنب الوقوع فى فخ التناقض؟ كما حدث و يحدث بسبب استحالة قراءة الآتى: أعبى الفلاسفة الأحرار جهلهم ماذا يخبى لهم فى دفتيه غد (الجواهرى) هذا التساؤل يقودنا الى وجود التفتيش عن المشرع و صفاته و طاقاته حتى نلتزم أو لا- نلتزم بنظامه... نسوق على سبيل المثال بعض ما يجب أن يكون فى المشرع حكيم... عادل... قادر... مسيطر... الخ.. هذه صفات مطلقة و ليست نسبية، فواحدة من هذه ليست لأى انسان أبدا، انها للخالق الذى صفاته عين ذاته، و عليه يكون وحده القادر على وضع نظام شامل يكفل سعادة البشرية و يراعى تطورها... تحركا و تفاعلا داخلين ضمن المشيئة و القدرة الالهية. يقول تعالى (ان الحكم الا لله أمرا ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف) (و ما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون). و هذا ليس ضربا من الاسترقاق المهين لانسانية الانسان لبلوغ مأرب أو تحقيق منفعة، أو الوصول الى هدف أنانى (هذه طبيعة المحتاج). فى هذه الحال يكون الانسان أداة فى يد محتاج، متى استهلكته أعدمت أو أهملت... و هذا متفق تماما مع منطق العبودية الأرضية الخاضع لمبدأ الأنانية. أما المعبودية لله فمغاير لها تماما، لتغاير أسسها و منطلقاتها فهى مبنية على الحب المتفاعل مع المشاعر و الوجدان المرتبط بالمحسوب ارتباطا انصهاريا، و عندما يفنى المحب بمحبوبه و يراه فى منتهى الكمال يندفع نحو العمل الذى [صفحة ٣٧٦] يقربه منه اندفاعا هائلا و هو يشعر أنه بلغ أرقى ملذات السعادة و الهناء و الاستقرار النفسى، و لو أدى به اندفاعها الى الموت. و التاريخ الاسلامى حافل بالشواهد.. و متى فنى المحب بمحبوبه تم اتحاد المشيئتين فى مسار مبنى على الاخلاص و الطاعة فى كل حركة و سكونه تصدر عن هذا المخلوق سواء فى ذلك: العمل الخارجى كالصلاة و التجارة و السياسة و القضاء... الخ... أو ما ليس له آثار خارجية كالتفكير و النية و المشاعر... الخ... و متى كانت هذه كلها مرتبطة بالله صحت تسميتها دينا صحيحا أو عبادة خالصة أو ما شئت فقل، و لمثل هذا تشرع الجنة أبوابها. أما من اتخذ الهه هواه فسائر فى الطريق المعاكس خاضع لتقلبات رياح المصلحة الأنانية الفاسدة المفسدة... فهو محبط لأنه بوق.

قال تعالى: (فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) سواه، جعله سويا قادرا لاستقبال الوديعة الجوهرية التي خصص الله تعالى بها الانسان دون غيره من المخلوقات، و بها كرمه و سوده مسخرا له ما فى السماوات و الأرض، واعد اياه جنة عرضها السماوات و الأرض ان هو تصرف بما خوله طبقا للبرنامج المأمور بتطبيقه و الالفليس من المتقين و التقوى من الوقاية (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم نارا) فالأمر بالتوقى لا يتجه الى النفس فحسب «عليك نفسك هذبها» بل يتعدى الى كل ما و من لك عليه ولاية... و هو من قبيل الأمر بتطبيق برنامج مدرسى متكامل رعته السياسة التربوية المخولة التدخل فى شتى شؤون الفرد و الجماعة و بوبته و قسمته متدرجة به بدء من اختيار الزوج أو الزوجة الى مراعاة ظروف الحمل فالولادة حتى الاستقلال يؤكد هذا كتاب الله العزيز... قال تعالى: (و علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة...) (البقرة ٣٣ - ٣٠) (هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحليم) (آل عمران ٦). (و لقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) (الأعراف ١١٠). (هو الذى خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين) (الأعراف ١٨٩). (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) (النحل ٤). (و الله جعل لكم من أنفسكم أزواجا و جعل لكم من أزواجكم بنين و حفدة و رزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون و بنعمة الله يكفرون) (النحل ٧٢). (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة لعلكم تشكرون) (النحل ٧٨). [صفحة ٣٧٧] (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة و غير مخلقة لنبين لكم و نقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم و منكم من يتوفى و منكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا، و ترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت و ربّت و أنبتت من كل زوج بهيج) (الحج ٥) (و هو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا و صهرا و كان ربك قديرا) (الفرقان ٥٤). هذا غيض من فيض كتاب الله و فيوضاته الواضحة الدلالة على ما كان من شأنه تعالى وحده و لا شأن فيه للمخلوق الذى لا يملك الجعل حتى ولو استقل، بل لا يملك شيئا مطلقا. و لأنه ادعى الملكية و الاستقلال المنفصل و عمل بمقتضياتهما بدأ يبحث عن حتفه و يحز وريده بكسين حضارته. لم يكن هذا ليحصل، لو أن الانسان وقف عند حده ملتزما بالبرامج الالهية الكفيلة بسعادته فى الدارين، و اذا كانت العينات دالة على نوع المعدن فحسبى هذه العينات من كتاب الله و بعض مواقف أشرف المرسلين محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) تقول أم الفضل، مرضعة السبط الشهيد (ع): «أخذ منى رسول الله (ص) حسينا (ع) أيام رضاعه، فحملة فأراق ماء على ثوبه، فأخذته بعنف حتى بكى، فقال (ص): مهلا يا أم الفضل ان هذه لاراقة الماء يطهرها، فأى شىء يزيل هذا الغبار عن قلب الحسين» (الطفل بين الوراثة و التربية ص ٥٨). [وقروا كباركم، و ارحموا صغاركم، ليس منا من لم يرحم صغيرنا و يوقر كبيرنا]. [الصبي، الصبى، الصبى، الصبية، الصبية، الصبية، فرقوا بين أولادكم فى المضاجع اذا بلغو سبع سنين، و قيل ست سنين] (المصدر السابق ٢٧٣). [اياكم و تزوج الحمقاء، فان صحبتها بلاء، و ولدها ضياع] (الطفولة و المراهقة - عالم الفكر). [أنظروا من يرضع أولادكم، فان الولد يشب عليه]. [توقوا على أولادكم من لبن البغى من النساء و المجنونة، فان اللبن يعدى] على محمد حسين الأديب. يدخل الامام الصادق (ع) بقوة ذاتية لها محور مستقل، و لكن استقلاليته هذه ليست منفصلة عن القطب، أعنى الاسلام بل اتخذت لها مدارا فى فلكه بحيث يشكل هو مع من خصهم الله و خصصهم مجموعة شمسية أرضية تغنى و تعتنى... تشارك فى بناء الانسان بناء يؤهله لأن يكون خليفة الله فى الأرض (و اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة) فلا يتقبل الا القويم و لا يستسيغ سوى الصواب، و بهذا يملك قوة التحدى... و ما تدخل الاسلام فى خصوصيات الانسان كبيرها و صغيرها، حتى أكثرها [صفحة ٣٧٨] دقة و حساسية و شفافية الا دليل على عظيم العناية الالهية بهذا المستخلف... يقول الامام أبو عبد الله الصادق (ع) لداود الكريم حينما أراد أن يتزوج «انظر أين تضع نفسك» و يقول أيضا «ان عيال الرجل أسراؤه فمن أنعم الله عليه فليوسع على أسرائه فان لم يفعل يوشك أن تزول تلك النعمة عنه».

هذا التدخل المحسوب بدقه متقنة مشتق من طبيعة الفلك الذى يدور فيه، فهو يلغى فى الانسان دور البهيمية و لا يلغى عنده لذة الاستمتاع المادى بل يحوله شريكا للروح و يتبادلان اللذة و يشتركان فى الاستمتاع، و كل منهما يرفد الآخر... و تبادل الرغد لا يلغى الحدود، تبقى المادة مادة و تظل الروح روحا و نماؤها المادة... و كلما كان الوعاء نظيفا معقما كان الغذاء نافعا.. و الروح يميته خبث غذاء الجسد، و يحييها طيبة و ينعشها. و ميت الروح لا يعنى أنه ميت الجسد. فالتى تتقبل الخبائث و تتغذى بها تتخلى عن دورها، و تتخذ لها مدارا بهيميا تحول المجتمع الى غابة محكومة بقوى علمية متطورة و مدروسة أساليبها... و فرق بين أساليب وحوش بنى البشر و وحوش الغابات.. من هنا كان التأكيد على العناية بالطفل: قبل أن يكون و بعد أن يكون... بدء باختيار الأم و المرضع مروراً بطبيعة الغذاء عند الأبوين... حتى الاستقلال... و متى كان التدرج مطابقاً للقاعدة منسجماً مع الاشارات الصحية فيما يتعلق بالوجبات الغذائية ذات الاتجاهات الروحية و المادية توطدت الأواصر و تمكنت اللحمة بين الروح و الجسد تحت مظلة تبادل العون غير القائم على رجاء الطمع بل على التنافس فى سد الخلل و رأب الصدع أينما وجد فى أى منهما... يكون هذا حاصلًا حين التزامنا تجاهها لبوصله التى لا تخطف... و الا... انقلب ظهر المجن و تحكمت مملكة الغيلا.. الله تعالى تحبب الينا بالنعم، فماذا قابلناه؟ و أية نعمة أجل و أعظم من أن ينفخ فينا من روحه و يكرمنا بجليل العطاء هذا و يفضلنا على سائر خلقه... و النفخ هو غير شعله الحياء كما لا يخفى... فشعله الحياء متوقدة فى كل حى على الاطلاق كما لا يخفى... و بالنفخ هذا تمت للانسان كرامة التفضيل و أمر الملائكة بالسجود له.. و الانسان وحده لا يجوز له أن يسجد لغير الله... تكريم آخر مشتق من تكريم النفخ فيه... فالحث على ايلاء هذه العظمة فائق العناية هو تكريم أيضا، ولكنه يحتاج الى مدرسة. من هنا تالتت الارساليات الالهية مزودة ببرامج كاملة واضحة مجردة من أى خلفيات غايتها الانسان و وسيلتها الانسان أيضا... برامجها التغذوية ذات اتجاهين: روحى و مادى، نبراسهما العلم الوسيلة الدالة على مصدر الفيوضات، و كل منهما متأثر بالآخر، فما لم يكن الغذاء المادى طيبا (حلالا) انعكس سلبا على الروح، لذا وجب اتباع الارشادات الصحية الالهية... و ان كانت الروح لا تتغذى به مباشرة ولكنها تتأثر فيه، و الأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، فوجبات الغذاء الروحى آتية من: الصلاة - الزكاة - الصوم - الحج - الجهاد - الحب - المواساة - التأمل... الخ. [صفحة ٣٧٩] الصلاة سماها بالحديث معراج المؤمن، و هذه التسمية مع احياءاتها الشاعرية، و سموها اطلالاتها تحمل طابع الواقع العلمى المتحرك بميزان، لأن العروج يعنى الانتقال من أدنى الى أعلى، لذلك سمى الاسراء عروجا أى انتقالا من العالم السفلى الى العالم العلوى... عالم لا يباشروه التعاطى المشوب بالدنس.. هذ السفر القاصد بهذه الوسيلة المضمونة له دلالات تربوية مرتبطة بالتربية البدنية و العقلية و النفسية كل الارتباط، و علاقاتها بالعلم و أساليب تعلمه علاقات رسم من حيث أنها الجبل الذى يصل الأرض و أنماط التعاطى فيها بالسماء.. و العلم مهما تكن طبيعته و دوره و عطايه و منشآته تبقى سيفاً مسلطاً و سما زعافاً ما لم تتدخل روحانية الصلاة فى حركة بنائه.. و لأن الصلاة عمود الدين، و الدين قانون شامل... كامل... ضامن... مضمون يحمل مشروع حل مشكلة الانسان و معاناته على الأرض، فلن تكتب الحياة لهذا المشروع ما لم تكن روحه الصلاة، فكيف تكون حال أطروحات الانسان للانسان التى تفوح منها رائحة الأنانية لأنها صنيعه من اتخذ الهه هواه.. سأل رزام مولى خالد بن عبد الله الامام الصادق (ع): «أخبرنى عن الصلاة و حدودها» فقال له الصادق (ع): للصلاة أربعة آلاف حد لست تؤاخذ بها فقال: أخبرنى بها لا يحل تركه و لا تتم الصلاة الا به فقال أبو عبد الله (ع): لا تتم الصلاة الا لذى طهر سابغ و تمام بالغ غير نازع و لا زائغ عرف فوقف و أختب فثبت فهو واقف بين اليأس و الطمع و الصبر و الجزع كأن الوعد له صنع و الوعيد به وقع بذل عرضه و تمثل عرضه و بذل فى الله المهجة مرتغم بارتغام يقطع علائق الاهتمام بعين من له قصد و اليه وفد و منه استرفد، فاذا أتى بذلك كانت هى الصلاة التى تنهى عن الفحشاء و المنكر» (البحار ج ٢٧ ص ١٨٦ - ١٨٥). عن معاوية بن وهب عن الصادق (ع)، قال: سألت أبا عبد الله فى كم يؤاخذ الصبى بالصلاة؟ فقال فيما بين سبع سنين و ست سنين (الوسائل كتاب الصلاة ص ١٢). و عنه (ع) اذا أتى على الصبى ست سنين وجب عليه الصلاة، و اذا أطاق الصوم وجب عليه (و - ص ١٢). و عنه و عن أبيه: انا نأمر صبياننا بالصلاة اذا كانوا بنى خمس سنين فمروا صبيانكم بالصلاة اذا كانوا بنى سبع سنين. يكون الطفل فى هذا العمر

ذا طبع و له قابلية. و التدخل فى شؤونه تحتمة طبيعة العلائق و الوشائج و التعاطى المستقبلى معه، و لأن نفسه خالية قابلة للزرع فهو مستعد للتلقى، فما لم تكن يد الزارع نظيفة و بذاره صالحا أصيلا و طبيعته مشتقة من تلك الأصالة و قدرته على نجاح المواسم مضمونة تستشرى الأمراض و تتعثر المواسم، فالمعلم الهادف يبنى مجتمعها هادفا يؤهل أفرادها للاستخلاف فى الأرض، يكون المسجد بالنسبة للطفل فيها مدرسة، و أداء الصلاة فرض، و اختلاف أوقاتها التزام بالمواعيد، و الوقوف [صفحة ٣٨٠] الخاشع انصات، و خروج من دائرة المحدود الى دائرة المطلق... و التزام المعلم بهذه الفريضة فى أوقاتها، كذلك الأبوان، وسيلة ايضاح قائمة على نظافة البدن المقدمة الضرورية لنظافة النفس. و تلازم أداء الصلاة على من فى سن الخامسة أو السادسة أو السابعة مع التأهيل المدرسى لتلقى المعلومات يعنى أنهم يدخلون الحياة من بابين: باب المسجد و باب المدرسة... هذان جناحا الحياة و بدونهما لا يتم التحليق. فى المدرسة تتعلم كيف تفجر الصخر عيونا و جداول و ينابيع.. و فى المسجد تتعلم كيف تنسف الخزانات القائمة عبر الجداول و الأنهار لمن أراد أن يستفيد بها وحده... و ادراك هذا المعنى بمضامينه يختزن فعل انقلاب على الذات من أجل الذات باعتبارها خلية يخشى عليها و ينبغى أن تحمى و تصان... من هنا كانت الصلاة ورقة حسن سلوك يقدمها الفرد الى مدرسة الحياة و على أساسها يعين صفه و فئته فى ضوء غاية المصلى... فكم من أناس يصلون و لا يصلون... تولد صلاتهم ميتة لأنهم لا يختزنون قوة الدفع التى تساعد على العروج، و حاجة الصلاة الى هذا المخزون حاجة الجسد الى الروح... من هنا مست الحاجة الى تأهيل الأطفال و التدرج بهم و رعاية البذار الروحى فى نفوسهم... و متى كان الرعاة أكفاء و الزارعون خلصا غيت النفوس و اكتسبت صلاتهم صفه الصلاة التى حددها الامام الصادق (ع) لرزام... حتى اذا ولج الأطفال باب الاستقلال صلوا أحرارا من أى قيد مادي... فعندما أفوض أمرى الى الله أكون قد تحررت من أى سلطان غيره فأنا ملكه وحده، يتصرف بى و بوجودى تصرفا طلقا.. و هذا خروج و تمرد على كل القوى المحيطة بى... و من يعتقد أنه مملوك لخالقه و لا- يملك لنفسه ضرا و لا نفعا ير أن تصرفه فيما حوله من ثروات انما حصل بتحويل من خالقه، و عليه، فأنا أمارس الحياة وقعا لمشيئته، و ليس لأحد سلطان على. و هذا أرقى أنواع الحرية، لأنه حررنى من الخوف و الهوى و الشهوات التى تقودنى الى أن أخضع لمثل فى الخلق. و فى رحاب الصلاة الفسيحة، و تحت ظلالها الهائلة المريحة تحتشد كل التوابع و تتجمهر... فالزكاة و الصيام و الحج و الجهاد و الحب و الايثار و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر. كل هذه تستضيفها الصلاة و تمد لها البساط. بأنفاسها تتعطر و بغذائها تدوم و تستمر شبابا متألقا و عطاء خيرا لا يكدره من و لا يشوبه أذى... فالشرايط التى حددها الصادق (ع)، و لا تكون الصلاة تامة بدونها، ليست مستحيلة أو صعبة الا على مرضى القلب.

سياسة النفس

نحن بين يدي محاور قرآنية أربعة تعاطت مع النفس فى أربع مناسبات نستظيف فى ظلها بعض موائد عملت فى منجمها. [صفحة ٣٨١] المحور الأول: (و نفس و ما سواها - فألهمها فجورها و تقواها - قد أفلح من زكاها - و قد خاب من دساها) (الشمس ٩ - ٨ - ٧ - ٦). نبدأ بمائدة الطبرسى فى كتابه «جوامع الجامع» ج ٢ ص ٨٥ «و نفس و الخالق الحكيم «و ما سواها» أى عدل خلقها، و فى كلامهم سبحانه من سخر كن لنا فألهمها فجورها و تقواها أى عرفها طريق الفجور و التقوى و أن أحدهما قبيح و الآخر حسن و مكنها من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد أفلح من زكاها، و قد خاب من دساها، فجعله فاعل التزكية و التدسية و متوليها، و التزكية الانماء و الاعلاء بالتقوى، و التدسية النقيض و الاخفاء بالفجور و أصل دس من دسس كما قيل تقضى من تقضض و نكر قوله و نفس لأنه أراد نفسا خاصة من بين النفوس و هى نفس آدم كأنه قال: و واحدة من النفوس أو لأنه أراد كل نفس فيكون من عكس كلامهم الذى يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه كقول الشاعر: «قد أترك القرن مصفرا أنامله» فجاء بلفظ التقليل الذى يفهم منه معنى الكثرة، و منه قوله تعالى (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) (الحجر) و معناه معنى «كم» أو أبلغ منه، و جواب القسم محذوف و تقديره ليدمد من الله عليهم أى على أهل مكة لتكذيبهم برسول الله كما دمد من على قوم ثمود لتكذيبهم صالحا، و أما كلامه قد أفلح

من زكاها فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها و تقواها. على سبيل الاستطراد و ليس من جواب القسم فى شىء. انتهى. ماذا على مائدة الفراء؟ يستخرج «الفراء» من فألهمها فجورها و تقواها عرفها سبيل الخير و سبيل الشر و هو مثل قوله و هديناه النجدين (البلد ١٠). و قوله عزوجل قد أفلح من زكاها يقول: قد أفلحت نفس زكاها الله و قد خابت نفس دساها، و يقال قد أفلح من زكى نفسه بالطاعة و الصدقة، و قد خاب من دسى نفسه فأخملها بترك الصدقة و الطاعة. و نرى و الله أعلم، أن دساها من دسست بدلت بعض سيناتها ياء كما قالوا تظنيت من الظن و تقضيت يريدون تقضضت من تقضض البازى. و خرجت أتلعى ألتمس اللعاع (بنت ناعم فى أول ما يبدو) أرعاه، و العرب تبدل فى المشدد الحرف منه بالياء و الواو... الخ معانى القرآن ج ٣ ص ٢٦٧ - ٢٦٦. هذا بعض ما قدمه الفراء. فماذا فى «الميزان»؟ يقول: تذكر السورة أن فلاح الانسان و هو يعرف التقوى و الفجور بتعريف الهى و الهام باطنى أن يزكى نفسه و ينميها انماء صالحا بتحليتها بالتقوى و تطهيرها من الفجور و الخيبة و الحرمان من السعادة لمن يدسيها. و يستشهد لذلك بما جرى على ثمود من عذاب الاستئصال لما كذبوا برسولهم صالحا و عقروا الناقة، و فى ذلك تعريض لأهل مكة، و السورة مكية بشهادة من سياقها و نفس و ما سواها أى أقسم بنفس و الشىء ذى القدرة و العلم و الحكمة الذى سواها و رتب خلقتها و نظم أعضائها و عدل بين قواها. و تنكير «نفس» قيل للتنكير، و قيل للتفخيم، و لا يبعد أن يكون التنكير للإشارة الى أن لها وصفا و أن لها نبأ. و المراد بالنفس النفس الانسانية مطلقا، و قيل المراد بها نفس آدم (ع)، و لا يلائمه السباق و خاصة [صفحه ٣٨٢] قوله قد أفلح من زكاها و قد خاب من دساها. الا بالاستخدام على أنه موجب للتخصيص. قوله تعالى فألهمها فجورها و تقواها الفجور على ما ذكره الراغب شق ستر الديانة فالنهي الالهى عن فعل أو عن ترك حجاب مضروب دونه حائل بين الانسان و بينه و اقتراف المنهى عنه شق للستر و خرق للحجاب. و التقوى - على ما ذكره الراغب - جعل النفس فى وقاية مما يخاف، و المراد بها بقرينة المقابلة فى الآية بينها و بين الفجور، و التجنب عن الفجور المنافى و قد فسرت الرواية بأنها الورع عن محارم الله. و الالهام: الالتقاء فى الروح، و هو من افاضته تعالى الصور العلمية من تصور أو تصديق على النفس، و تعليق الالهام على عنوانى فجور النفس و تقواها للدلالة على أن المراد تعريفه تعالى للانسان صفة فعله من تقوى أو فجور، وراء تعريفه متن الفعل لعنوانه الأولى المشترك بين التقوى و الفجور كأكل المال، مثلا، المشترك بين أكل مال اليتيم الذى هو فجور و بين أكل مال نفسه الذى هو من التقوى، و المباشرة المشتركة بين الزنا الذى هو فجور و النكاح و هو من التقوى و بالجملة، المراد أنه تعالى عرف الانسان كون ما يأتى به من فعل فجورا أو تقوى، و ميز له ما هو تقوى مما هو فجور. و تفريع الالهام على التسوية فى قوله و ما سواها فالهمها الخ... للإشارة الى أن الهام الفجور و التقوى، و هو العقل العملى من قبيل تسوية النفس فهو من نعوت خلقتها كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) (الروم ٣٠). و اضافة الفجور و التقوى الى ضمير النفس للإشارة الى أن المراد بالفجور و التقوى الملهمين، الفجور و التقوى المختصين بهذه النفس المذكورة، و هى النفس الانسانية، و نفوس الجن على ما يظهر من الكتاب العزيز كونهم مكلفين بالايمان و العمل الصالح. قوله تعالى قد أفلح من زكاها و قد خاب من دساها الفلاح هو الظفر المطلوب و ادراك البغية و الخيبة خلافا، و الزكاة نمو النيات نموا صالحا ذا بركة و التزكية انماؤه كذلك. و التدسى هو من الدس بقلب احدى السنين ياء: ادخال الشىء فى الشىء بضرب من الاخفاء، و المراد بها بقرينة مقابلة التزكية: الانماء على غير ما يقتضيه طبعها، و ركبت عليه نفسها. و الآية - أعنى قوله -: قد أفلح جواب القسم، و قوله قد خاب الخ... معطوف عليه و التعبير بالتزكية و التدسى من اصلاح النفس و افسادها مبتن على ما يدل عليه قوله فألهمها فجورها و تقواها على أن من كمال النفس الانسانية أنها ملهمة مميزة بحسب فطرتها الفجور من التقوى أى أن الدين هو الاسلام لله فيما يريده فطرى للنفس. فتحلية النفس بالتقوى تزكية و انماء صالح و تزويد لها بما يمددها فى بقائها. قال تعالى: (و تزودوا فان خير الزاد التقوى و اتقون يا أولى الألباب) (البقرة ١٩٧) و أمرها فى الفجور على خلاف التقوى. انتهى. الميزان ج ٢٠ ص ٢٩٨ - ٢٩٧ - ٢٩٦. المحور الثانى: كائن فى سورة يوسف آية ٥٣ (و ما أبرء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى أن ربى غفور رحيم).

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رحمه الله" - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشأته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسايل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدة مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيّة، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدّعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رمضان "و مفرق" وفانى / "بنايه" القائمية

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيّة، تبرّعية، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفّي الحجم المتزايد و المتّسع للامور الدينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركز صاحب هذا البيت (المُسمّى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَل الله تعالى فرجه الشريف) أن يُوفّق الكلّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكلّ احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩